

تقديم

من أين نبدأ ونحن نقدم لهذا الكتاب التأريخي الهام «العربية السعودية.. والغرب». هل نبدأ من الإشارة إلى تذكرنا لجهود حثيث بذلناه لإقتناء نسخة من إصداره فى طبعته الأولى منذ أكثر من خمس وعشرون عاماً ، وكلل هذا الجهد بالفشل .. إذ كان قد سبقنا لجمع نسخه - وأظن فعل جمع هو تعبير دبلوماسي بديلاً لكلمة مصادرة - قام بها أولي الأمر والصلة بموضوع الكتاب ، وقد كشف الستار عن حقائق تاريخية لا يمكن إلا التسليم بها حول نشأة المملكة ودور الغرب فى تشكيلها ، وسعودتها - نسبة إلى آل حكمها .

أم ترى نبدأ من مراحل تطور هذه البلاد، ووضعها فى إطار المنظومة الرأسمالية العالمية رغم ما قد يبدو على السطح من تناقضات فى علاقات النظام الملكي السعودي بالغرب ، لكنها - هذه التناقضات - مع الاحتكارات الغربية بسبب المبالغة المصطنعة فى حجم المشروعات الاقتصادية التى ينفذها الغرب، وارتفاع تكاليفها وما يتبع ذلك من ضخامة ميزانيات الدفاع عن المملكة ومشروعاتها بما يفوق الواقع بمراحل .

الكتاب فى طبعته الثانية من إثنى عشر فصلاً مكون من ثلاثة أجزاء، أولها يحكى عن تغلغل رأس المال الاحتكاري فى العربية السعودية، وميلاد النظام الرأسمالي القومي - وهى مرحلة امتدت منذ الثلاثينات وحتى خمسينات القرن الماضي ، ويحكى ثانياً عن رأسمالية الدولة الاحتكارية

وبداية التغيرات الجذرية فى المجتمع السعودى . وهى مرحلة استمرت خلال ستينات وسبعينات القرن الماضى ، أما الجزء الثالث من أجزاء الكتاب فيتحدث عن تأثير رأسمالية الدولة الاحتكارية على تطور المجتمع السعودى فى سبعينات القرن الماضى .

يزجج الكاتب الفضل فى اهتمام دول العالم كلها بالمملكة البترولية الممتدة فوق رمال الجزيرة العربية إلى الطفرة التى أحدثها البترول فى نمو المملكة فحولت - خلال عقدين من الزمان - البدوى إلى شيخ قبيلة . وشيخ القبيلة الصغيرة إلى رجل أعمال عالمى بعد أن غدت البلاد ساحة مشروعات ضخمة وقد ظلت أمداً طويلاً فى تخلف العصور الوسطى .

تاريخ العربية السعودية منذ أن بدأ عبد العزيز بن سعود أمير نجد فى عام ١٩٠٢ نضاله من أجل إقامة دولة فى الجزيرة العربية ، هو مجموعة من الأحداث المنفصلة كونت فى جوهرها حلقات فى سلسلة التحولات التى شهدها المجتمع ، وساهم فى وضعها ونشأتها رأس المال الغربى من خلال تأثيره الواضح تماماً .

مترجم الكتاب الدكتور أنور إبراهيم قدم للمكتبة العربية بهذا الكتاب - وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٨٨ - جهداً متميزاً متفرداً ، لم نشك للحظة فى إبداع ترجمته ، رغم مقارنات متفحصة لترجمات أخرى صدرت ببلدان عربية لنفس الكاتب - الكسندر ياكوفليف - ولنفس الكتاب ، إذ يظل المعلم معلماً ، وله منا كل الشكر والإمتنان والتقدير .

يتبقى أن نشير إلى أن الكتاب الأصلي كانت قد صدرت - ونفدت فور صدورها - طبعته الأولى فى نهايات ثمانينات القرن الماضى ، إلا أن إعادة طباعته فى نهايات العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين - دونما تعديل

- إنما يكمن فى أمرين : أولهما مانراه من رصد تاريخى لنشأة هذه البلدان، وهو أمر تحكيه حقائق التاريخ وحدها، ولا تتغير زمانها. أما ثانيهما فهو الدور المحوري الذى غدت السعودية تلعبه فى الدائرة العربية بعد تراجع دور مصر فى العقود الأخيرة .. إذ لعلنا نتذكر نشأة وتطور العربية السعودية البدوية .. وقد غدت وصية على مستقبل أمة نثق فى أنها ستنهض من عثرتها .. وإن طال الزمان .

لدينا

دكتور / حسين الشافعى

رئيس مجلس إدارة المؤسسة المصرية الروسية للثقافة والعلوم
رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير أنباء روسيا

يقدم الكتاب تحليلاً لتأثير رأسمالية الدولة الاحتكارية الغربية، وكذلك لتأثير حكومات الدول الرأسمالية الكبرى على التطور الإجماعي والاقتصادي للعربية السعودية.

المقدمة

يرجع الفضل فى هذا الاهتمام المتزايد فى كل أنحاء العالم ، بهذه المملكة البترولية الممتدة فوق رمال الجزيرة العربية ، إلى الطفرة التى حدثت فى نمو العربية السعودية ، تلك الطفرة التى حولت ، خلال عقدين من الزمان ، البدوى إلى عامل فى مصنع حديث للبترول ، وشيخ القبيلة الصغيرة إلى رجل أعمال عالمى ، وجعلت من الصحراء المترامية الأطراف ساحة بناء ضخمة. وكذلك يرجع هذا الاهتمام إلى الرغبة فى فهم هذا التحول الكبير السريع لهذه البلاد التى ظلت أمداً طويلاً على ما هى عليه من تخلف العصور الوسطى .

دخلت العربية السعودية إلى المعاصرة عبر بوابة البترول . كان البترول هو أساس التطور الهائل لاقتصادها وللتحولات الجذرية فى المجتمع ، ولتعاظم أهمية الدولة السعودية على ساحة العلاقات الدولية . على أن "المفتاح" الذى فتح هذه البوابة أمام تلك المملكة الصحراوية إلى المعاصرة لم يكن سوى الغرب ، بالرغم من أننا لا يمكن أن نرجع كل التغيرات التى حدثت هناك إلى تأثيره وحده . ولهذا فقد اخترنا تأثير ونفوذ رأسمالية الدولة الاحتكارية الغربية على التطور الاجتماعى الاقتصادى للعربية السعودية ، موضوع هذا البحث ، بوصفه نموذجاً مميزاً للتفاعل بين الغرب ومجموعة دول الشرق فى الستينيات والسبعينيات .

كذلك نطرح هنا تأثير رأسمالية الدولة الاحتكارية على التطور الاجتماعى الاقتصادى للعربية السعودية بوصفه قضية تأثير العالم الخارجى لمجتمع أكثر تقدماً على نمو مجتمع تقليدى متخلف . ولما كان الطريق نحو التطور الاجتماعى المستقل مغلقاً أمام العربية السعودية ، فقد سار هذا التطور بشكل حتمى على طريق تكوين شكل خاص من النظام

الاستعماري هو " المستعمر - المستعمرة " وتتلخص فحوى هذا الطريق " فى النفوذ والاندماج النهائى بين العناصر التقدمية المنفردة التى ظهرت فى أعمال الأشكال البائدة ، وبين العناصر الخارجية الجديدة التى تظهر فى الظروف الاجتماعية الاقتصادية التى تغيرت جذريا . والمضمون الأساسى لهذه التركيبة : هو الانتقال إلى شكل جديد ناتج عن اصطدام المجتمع القائم بالعالم الخارجى . وقد يؤدى هذا الاصطدام إلى ظهور أشكال انتقالية ، وأيضاً إلى انتصار العلاقات الاجتماعية الأكثر تقدماً مع الاحتفاظ - بشكل أو بآخر - ببعض العناصر المناسبة من بين عناصر النظام القديم واستخدامها " (١٢٤ : ص ١٩) .

يبحث هذا الكتاب فى " نشاط رأسمالية الدولة الاحتكارية " فى ظروف صراع الإمبريالية من أجل البقاء وبحثها عن الطرق والوسائل لتعزيز مواقع الرأسمالية فى العالم بأسره ، وخصوصاً فى البلدان النامية ، فى الستينيات والسبعينات . وفى السنوات الأخيرة لعب عدد من بلدان الشرق الأوسط ، من بينها - العربية السعودية - ، دوراً مهماً فى الشؤون الدولية بفضل أهميتها الجيولوجية والاقتصادية العالمية . وقد كان من شأن انتقال المصادر الطبيعية الخاصة بهذه البلاد فى فترة محدودة من السبعينات إلى الرقابة القومية تعزيز وضعها الخاص فى العالم الرأسمالى .

ومن البديهي أن أهمية القضايا المطروحة للبحث تعود إلى تناول هذه القضايا من زاوية إمكانات وظروف وأفاق تطور المجتمع السعودى ذاته ، الذى يمكن اعتباره نموذجاً للمجتمعات العربية الملكية المشابهة . ولذلك فقد حاولنا أن نبين واحداً من آليات التطور الرأسمالى للمجتمع الشرقى ، وأن نستخلص من تاريخ العربية السعودية المراحل المشتركة الخاصة بمجموعة الدول العربية المنتجة للبتروى مع الإقرار باللامح السعودية الخاصة .

ويستهدف هذا الكتاب تحليل تلك الفترة المميزة من تطور المجتمع السعودى التى تمت خلالها عمليتان فى آن واحد : انهيار الشكل الإقطاعى الذى لم يكن قد نضج بعد ، وحدوث تطور رأسمالى غير متوازن ازدادت سرعته

وتعقده بتأثير رأسمالية الدولة الاحتكارية ثم اضطلاعها بمهامه . وفى الوقت نفسه اخترنا مدخلا اقتصادياً تاريخياً مركباً : بحث مشكلات التطور الاجتماعى الاقتصادى للعربية السعودية باعتباره تطوراً لنظام إنتاجى قائم شامل للمجتمع حسب تعبير ماركس ، " يشهد عملية تغير دائم " (٣ : ص ١١) . والواقع أن موضوع البحث هو الذى يفرض بدرجة معينة دراسة هذا النظام ، دافعاً إلى الصدارة جزئية منه أصبحت هدفاً لتأثير الغرب .

ومن منطلق هذه المشكلة المطروحة للبحث يمكن أن نضع تصوراً للفترات الزمنية الحديثة فى تاريخ العربية السعودية .

الفترة الأولى : المرحلة الأولى : نهايات العشرينات ثم الثلاثينات : المضمون الأساسى لهذه المرحلة هو قيام ودعم نظام الدولة : المجتمع السعودى الإقطاعى المبكر ذو طابع انعزالى لا تربطه بالغرب وروابط منتظمة .

المرحلة الثانية : الأربعينات والخمسينات . مرحلة التغلغل النشاط لرأس المال الغربى ، وتوطيد مواقعه فى المملكة ، حيث تحولت البلاد إلى شبه مستعمرة ، إلى " غدة إفراز الخام " للاقتصاد الرأسمالى العالمى .

الفترة الثانية ، المرحلة الثالثة : الستينات وبالتحديد (١٩٦٢ - ١٩٧٣) : وهى بداية التحول الرأسمالى للمجتمع السعودى : النظام الملكى السعودى يتبنى - نتيجة لعوامل خارجية وداخلية - برنامج إصلاحات اجتماعية اقتصادية وينتقل إلى استقلال محدد فى السياسة الاقتصادية ، ويدخل تعديلات على العلاقات شبه الاستعمارية مع رأسمالية الدولة الاحتكارية .

المرحلة الرابعة : السبعينات : تسريع تطور العربية السعودية على طريق الرأسمالية . التغير الجذرى لطابع التفاعل مع رأسمالية الدولة الاحتكارية .

وضرورة هذا التقسيم الزمني تتأكد إذا ما اقتربنا من تاريخ العربية السعودية الحديث من حيث أنه تاريخ لانقلاب اجتماعي بروجوازي، إذ نرى - عندئذ - أحداثاً منفصلة عبر تطور المجتمع السعودي تشكل في جوهرها حلقات في سلسلة التحولات التي ترتبط زمانياً بالمراحل المشار إليها :

- ١ - مرحلة الاتحاد الجبري للعربية السعودية ووضع مقدمات تأسيس نظام ملكي مطلق (العشرينات والثلاثينات) .
- ٢ - مرحلة التحولات الاقتصادية الداخلية التي أعدت لانتقال المجتمع السعودي نهائياً إلى الرأسمالية (الأربعينات والخمسينات) .
- ٣ - مرحلة الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التي قام بها النظام الملكي (الستينات) .
- ٤ - بداية المرحلة الختامية لقيام الرأسمالية (السبعينات) .

على هذا النحو حاولنا أن نحل مشكلة تحليل تاريخ العربية السعودية الحديث . من وجهة نظر نرى من جانبنا أنها على قدر كبير من الأهمية .

ويولى هذا الكتاب اهتماماً فائقاً لبحث وضع ونشأة رأس المال الغربي الاحتكاري العامل في العربية السعودية، والتغيرات في سياسة الحكومة الإمبريالية، والاحتكارات الغربية وعلاقتها بالدولة موضوع البحث .

والاهتمام الأساسي في هذا الكتاب موجه إلى فترة الستينات وفترة السبعينات، حيث أخذت نتائج التأثير الغربي في الوضوح بشكل تام، لكن هذا الكتاب يتناول بالبحث الفترة من الثلاثينات إلى الخمسينات، وهي الفترة التي بدأ فيها الغرب نشاطه في العربية السعودية، تعميقاً لعملية التحليل .

ويتوجه المؤلف بالشكر للسيد ن . أسيمون لإسهامه العظيم في هذا العمل، كما يعبر أيضاً عن عظيم امتنانه لكل من "ر . أندريا، ل . فالكوفسكي، كويكوف، ف . أوزلينج و ن . بروشين" لملاحظاتهم النقدية البناءة ولنصائحهم المشكورة .